القائد باسل عيسى في ذكراه الرابعة

06/11/2016Kheiro Khatib

رغم مرور أربع سنوات على استشهاد "محمد باسل عيسى" قائد "لواء شهداء إدلب" إلا أن أهل محافظة إدلب لا ينفكون يتذكرون القائد البطل الذي انحفر اسمه وانطبعت صورته في ذاكراتهم وقلوبهم حيث يعتبرونه من أهم القادة الميدانيين في الثورة السورية منذ انطلاقتها في آذار 2011 أيام الحراك السلمي إلى حين تأسس اللواء في آذار 2012 ثم استشهاده في الخامس من تشرين الثاني 2012 في مدينة حارم إثر قصف صاروخي من طيران النظام الغادر.

ويعتبر أهالي إدلب وكل جمهور ونشطاء الثورة السورية الشهيد "باسل عيسى" أيقونة من أيقوناتها وعلما من أعلامها الخفاقة وصفحة مضيئة من صفحاتها المشرقة، ولايزالون ينعتونه بالخال ويذكرون مواقفه البطولية والإنسانية ويترحمون عليه مثله مثل كل أيقونات الثورة الذين رحلوا مخلفين ذكريات عطرة ستذكرها أجيال السوريين وستذكر أياديها البيضاء على الثورة والوطن.

ولواء شهداء إدلب هو لواء ثوري مقاتل عمل تحت راية الجيش السوري الحر، وتشكَّل في آذار 2012، ومع أن العدد الإجمالي للمقاتلين في صفوفه غير معروف، بحسب تقرير لمركز كارنيغي، إلا أنه من المعتقد أنه تجاوز بضعة آلاف، وعمل هذا اللواء في إدلب وريفها فقط، وظلَّ لواء شهداء إدلب بقيادة المهندس باسل عيسى حتى استشهد في مدينة حارم بريف إدلب في 5 تشرين الثاني 2012.

والشهيد باسل عيسى، قائد لواء شهداء إدلب، استشهد عن 42 عاما، وهو متزوج وأب لأربعة أطفال، وكان من قادة العمل الثوري، ومن المشرفين على تنظيم المظاهرات في المدينة قبل بدء المقاومة المسلّحة وانخرط في صفوفها وسجّل بطولات في الدفاع عن الأرض وتحرير مناطق عديدة من محافظة إدلب والتي كان آخرها معركة تحرير مدينة حارم التي استشهد أثناءها جراء غارة لطيران الأسد على المدينة، حيث ارتقى معه يومها:

أحمد أكرم حبوش من كفرتخاريم

الشيخ جنادة زين الدين من قائد كتيبة ذو الفقار – لواء يوسف العظمة من بلدة اسقاط

ضياء الكلش من كفرتخاريم

عبد الرحمن شواف من بنش

علاء فيصل الضبع من حارم

محمود عبدان من مدينة إدلب

مصطفى كمال شواف من بنش

محمد شاكر من حارم

ياسر عبيد من حارم

وكانت الصحفية بولين غارود قد كتبت عنه في تقرير حصري لموقع قناة "فرانس 24" تحت عنوان: ريبورتاج حصري. الساعات الأخيرة لقائد ميداني في الجيش السوري الحر أن الشهيد باسل عيسى قتل في الخامس من نوفمبر/تشرين الثاني جراء عملية قصف، وكانت موفدة فرانس 24 قد رافقته في دورية قبل يوم من مقتله وكتبت عنه أن "الكل هنا يحبه، فهو يصب الفولاذ في معنوياتنا. يعمل على طمأنتنا قبل إرسالنا إلى الجبهة. يوزع الفرق صباح كل يوم ويزج بالمعارك الأكثر استعدادا وصلابة بيننا، رجل يأخذ في الاعتبار معنويات قواته طمعا بأفضل النتائج" بحسب ما قاله عنه العقيد محمد الذي كان يتحدث إليه للتو.

وأضافت غارود في تقريرها: باسل يمد يده ويصافحني ويفتح لي باب سيارته الرباعية الدفع "سنزور حارم المحررة". يضع القائد باسل أغاني سورية فلكورية وسيارته تعبر شوارع مدمرة، جدران مهدمة، ركام في كل مكان، أسلاك كهربائية متدلية في الفراغ، رصاص فارغ على الأرض، قذائف مدفعية، أحذية وبقع من الدم وأشلاء

بشرية يحوم حولها الذباب. "هل ترين هذه الكارثة؟" يقول القائد الميداني ويده تشير نحو الجامع والمباني المهدمة حوله والتي لا يزال الدخان يتصاعد منها. ففي الأمس انفجرت قذيفة استهدفت الجامع وقتلت 70 شخصا.

ونوهت غارود إلى أن عيسى مهندس ميكانيكي سابق، ويعتبر بطلا في صفوف المقاتلين، من محافظة إدلب، بدأت شهرته بعد أن سجل انتصاره الأول في عاصمة المحافظة في مارس/آذار، ألحقه بانتصار آخر في مدينة أرمناز في يونيو/حزيران حين هزمت قواته 400 جندي من قوات النظام. في تموز/يوليو سيطر على مدينة سلقين وبعد شهر من ذلك بدأ الهجوم على حارم واستولى عليها بعد 10 أيام "ما زالت المعارك تدور في القلعة ولكن وسط المدينة تحت السيطرة، قد اتنا تتحكم بست

من أصل سبع طرق مواصلات" بحسب ما قال لها العقيد شهاب مسؤول التجهيز في الكتيبة.

وفي ذكراه التي صادفت يوم أمس السبت، كتب العديد من الكتاب والصحفيين والنشطاء عن الشهيد باسل عيسى منشورات على صفحاتهم على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، كما نشروا صورا ومقاطع مصورة للشهيد.

حيث كتب الشاعر والأديب نهاد سيد عيسى قصيدة رثاء في القائد باسل عيسى قال فيها: كان قوامه ساحرا.. مثل أساطير جلجاميش.. يبرق سنا الأمنيات من عينيه.. يهدر صوته كالريح.. كصرير الأيام الصدئة من ظلم الأبواب المغلقة على جسد الإنسان.. كان فكره الأرض والبسطاء.. لم يعرف يوما شيئا عن الأيديولوجيا أو البروليتاريا أو الشوفونية.. أو الكلام المقنع للكذب والسياسة.. هو ابن شجرة الزيتون.. يعصر زيتا ورمانا وتينا وعنبا.. وشمسا مثل الأرجوان.. يخرج من أرض طيبة.. ينهي الرحلة مثل مقاتل تحتاجه الحرب مرة واحدة.. ثم يموت.. ارحل.. هذا الوقت المتبقي لك.. هذا الوطن المتبقي لك.. أنت صنعت الحلم الراقد في أعيننا.. الآن.

ونشر القيادي في الجيش الحر "مهند عيسى"، أخو الشهيد، معظم ما نشر وكتب عن الشهيد على صفحته الشخصية، كما نعاه أخوه الكبير "عمر عيسى" فكتب يقول: إدلب تنادي أخوالها.. كلمة خال هي أخو الأم، وكلمة خال هي الشامة في الوجه، وكلمة خال أيضا هي المكان الخالي، وكلمة خال تطلق على صاحب الكرامة والعزة والإباء وناصر الضعفاء، وعندما اختار الشهيد باسل عيسى اسم الخال لقواد فصائله كان يدرك معنى الاسم ورمزيته وليحدث عناصره بقصة الحجاج عندما أتى بامراة وحكم على زوجها وابنها وأخيها بالإعدام وقال لها اختاري واحدا من الثلاثة لأعفو عنه.. لتجيبه الولد مولود والزوج موجود والأخ مفقود، حيث اختارت الأخ من هذا المنطلق. اختار كلمة الخال ولم يختر كلمة أمير أو وزير أو خليفة، وبرحيل "الخال باسل" أصبح مكان المدينة خال، والساحة تتلاطم فيها أمواج تيارات مختلفة، وحالة المدينة تعيش في فراغ في تيسير شؤونها، فالمدينة تنادي أخوالها من أجل قيام مجلس محلي يدير شؤونها ويكون بمثابة الأخ بالنسبة إلى الأخت محافظا وراعيا لها.. ما زالت إدلب تنادي وينكم يا أخوالي أنتم العالمين بحوالي.

كما نعاه العقيد المتقاعد مازن الحلاق فقال: باسل عيسى في ذكراك لن نقول إلا مايرضي الله. رحمك الله يامن تركت لنا إرثا من العطاء والإيثار والحب. نعم فقدناك جسدا ولكن روحك الطاهرة هي من تلهم كل حر القوة والثبات.

ونعته الكاتبة والإعلامية القديرة "عروبة بركات" فقالت: الشهيد باسل عيسى تقبله الله، قائد لواء شهداء ادلب. قائد لم يتكرر رغم مرور أربع سنوات على اغتياله بصاروخ أسدي حقير. كم تحتاجك إدلب يا باسل وكم تحتاج معن دهنين وحمدو الباشا وأبو يحيى مشقع تقبلكم الله يا أخيار.

كما شاركت بركات على صفحتها الشخصية منشورا سابقا كانت قد كتبت فيه: بطل عظيم، يمتلك روح ملاك وقلب ليث وإرادة صقر. متواضع ولطيف ومهذب. دمث الأخلاق، طيب القلب وخفيض الصوت.لكن عزيمته لا تهزم وصبره لا ينفذ وقدرته على القتال لا تتضعضع. رمز للثورة وايقونة للبطولة ليس في ادلب وريفها بل في سوريا كلها. امتثل له 1500 مقاتل من أشد الرجال بأساً وقوة. إنه باسل عيسى قائد لواء شهداء ادلب. استشهد اليوم بعد أن أكمل تحرير حارم. قال لي في شهر رمضان حين اعتقلنا سوية " والله بخجل منك يا أم حلا حين أراك في انطاكيا ولم نحرر ادلب بعد لتعودي إليها. وعداً علي أن نحررها قريباً لتضم أهلها الأحرار". تقبلك الله يا بطل أنت ورفاقك الأبطال في عليين مع الأنبياء والصديقين والصالحين. وآجر سوريا على فقدانك بالنصر والحرية.

ونعاه الإعلامي ربيع شعار فكتب: مع السلامي وين رايح.. مع السلامي يا مسك فايح.. الذكرى الرابعة لاستشهاد القائد الثائر البطل "باسل عيسى".. باسل عيسى ورفاقه الأبطال في جنة الخلد بإذن الله يا أحرار الثورة وشرفاءها.. كان كلّ شيء جميلا على زمانكم!!.. زمن الحرية والصدق والمحبة الصافية.. زمن الثورة.

ونعاه الصحفي حازم داكل: في مثل هذا اليوم رحل شهيدي البطل، القائد باسل عيسى صاحب الأبتسامة الجميلة لروحك الرحمة والسلام.

وكتب محمود الأسمر: في الذكرى الرابعة.. كنت رئيساً للمخفر الميداني بمعركة تحرير حارم وبليلة استشهاد باسل عيسى أبو عبد الرحمن قلت له عندي "ملازم أسير" عبحقق معو وعم يقلي الطيران بدو يستهدف السجن لازم ننقل السجناء والذخيرة والألغام والأطعام ع الحدود قلي يا خالي انت انقلهن ع مخفر الحدود وأنا رح ضل هون.. قلتلو يا أبو عبدو خلينا نخلي السجن كلياتنا قلي يا خالي انت خود السجناء وطلعو على سجن الحدود حتى إذا صار ما صار بيجوز يكون في بيناتهن ابرياء ونحنا اذا صار علينا شي بيكون ربك كاتب هيك.. هذا آخر كلام باسل لنلي قبل استشهاده ومعه رفاق الدرب.. رحمهم الله وتقبلهم من الشهداء.

كما نعاه الصيدلي أنس سيد عيسى فكتب: عرفته منذ الأيام الأولى للثورة المباركة، أيام المظاهرات حلوها ومرها ثم أيام مجلس قيادة الثورة إلى أن اختاره الله شهيدا بعد تضحياته الكبيره في كل مراحل الثورة وخاصة في تحرير حارم. كان بطلا شريفا عنيدا في الحق لا يخشى لومة لائم. عمل وضحى من أجل مثل عليا وأهمها الانتصار للمظلومين.. القائد الشهيد البطل باسل عيسى في ذكرى رحيلك نسأل الله لك الفردوس الأعلى.. حفرت اسمك بالدماء في إدلب خاصة وسوريا عامة فهنيئا لك.

وكتب عنه الناشط والمقاتل عبادة حاج أسعد: في مثل هذا اليوم منذ أربع سنوات فارقنا هذا الثائر الحر الذي رفض الذل والهوان وخرج مطالباً بالحرية شاهراً سلاحه في وجه من يريد إطفاء نور ثورته.. قائد لواء شهداء إدلب الشهيد البطل "باسل عيسى" رمز الثوار الشرفاء والجيش السوري الحر في إدلب.. عليك فلتبكي البواكي يا قائدي.

كما كتب الناشط عبد القهار زكور: كل مرة يذكر اسمه أمامي أول ما أقوله عنه "ماعرفنا قيمته لبعد ما استشهد" وإلى الآن أقولها وأنا مقتنع بها الشهيد بإذن الله باسل عيسى من القادة القلائل الذين مروا في ثورة مدينة إدلب.. متواضع مقدام عطوف أخ للجميع وله بعد في الرؤية.. نحسبك والله حسيبك ولا نزكي على الله أحدا.

وكتب الصحفي عبدالرحمن ربوع: رحم الله الشهيد الحبيب باسل عيسى قائد لواء شهداء إدلب وتقبله.. أهل إدلب وكل سوريا لم ولن ينسوا أياديك البيضاء وقلبك الأبيض، كما شارك منشورا سابقا كان قد كتب فيه: إن اختارك الله إلى رحابه بعدما صدقت الوعد ووفيته فلا أقل من أن تكون مصباح دربنا الذي اختصرت لنا منه الكثير.

كما كتب المقاتل "قسورة الجبل#إدلب" على مدونته في موقع تويتر: اليوم الذكرى الرابعة لرحيل ثائر حر كريم بصحبة رفاقه.. الخال باسل عيسى أبو عبدالرحمن قائد لواء شهداء إدلب.. الجيش السوري الحر.

الشهيد باسل عيسى قائد لواء شهداء إدلب

الشهيد البطل محمد باسل عيسى لواء شهداء إدلب

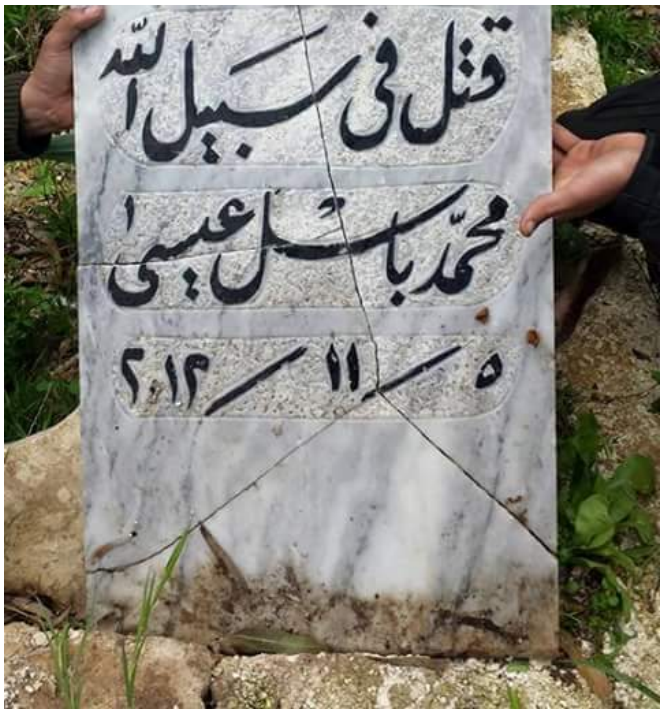

رفاة وروضة الشهيد باسل عيسى قائد لواء شهداء إدلب

إدلب الثورة السورية الجيش السوري الحر باسل عيسى حارم فرانس 24 مميز